مُقَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1] صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم وسار على نهجهم وخطاهم إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن هذا الكتاب أصله أطروحة جامعية[2]، نال صاحبه بها درجة الامتياز في نقد التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية وفق منهج المحدّثين، وأضاف إليها بعضا من مناهج الأصوليين من علماء أصول الفقه، ومناهج الأئمة الفقهاء الكبار لهذه الأمة، فيما يخدم طرق نقد الرواية التاريخية للقرون الهجرية الثلاثة الأولى ، بالإضافة إلى مناهج المؤرخين المسلمين ، وطرق النقد عندهم ، وشيئاً من مناهج المستشرقين وكبار نقاد المنهج التاريخي من غير المسلمين، مما قد يفيد لكتابة التاريخ الإسلامي وإعادة كتابته، وهو منهج لم يسبق أن جمعه أحد من أئمة وعلماء المسلمين

---

(١) هذا الاستهلال يسمّى: خطبة الحاجة رواه أحمد، والأربعة، وحسنه الترمذي، والحاكم، وغيرهم، والحديث بطرقه صحيح. مسند أحمد ٤/ ٤٧٤ (٢٧٤٩)، سنن أبي داود ٢/ ٢٠٣ (٢١٢٠) سنن النسائي ٦/ ١٢٦ (١٠٣٢٢)، سنن الترمذي ٤/ ٤٠٠ (١١٢٩)، سنن ابن ماجه ٦/ ٣ (١٨٨٢)، المستدرك ٢/ ١٨٢ - ١٨٣(٢٧٤٤).

(٢) لم يُكْتَبْ سطر أو جملة أو كلمة من هذه الأطروحة - إلاّ عن سهود ومن غير قصد - إلاّ وكان صاحبه على وضوء، والحمد لله، وكانت أكبر من حجمها الحالي، حيث حذف منها: فصل كامل لكي يصبح كتابا آخر، سمّيناه: المقدّمة الصغرى لكتابة وإعادة صياغة التاريخ الإسلامي.

obeikandl.com

من السلف والخلف، وحتى المعاصرين بهذه الصورة والشمولية، مع تطبيقه على أرض الواقع، واستخدام جميع تلك المناهج بتطبيقها على الروايات التاريخية مع الأمثلة والشواهد من الروايات الواردة في كتب التاريخ والتراث الإسلامي، وأثبت باحثه أن هذه المناهج؛ الأصولية الحديثية، والأصولية الفقهية، والفقهية، والتاريخية، قابلة للتطبيق فعلا على الروايات التاريخية، وأن هذا المنهج كفيل بتنقية كتب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي، وتصحيحها مما لحق بها من التلويث والتزوير والترّهات والخزعبلات والزيادة والنقصان، والتحريف والدس.

كما أن هذا المنهج كفيل أيضاً لمن يكتب التاريخ الإسلامي وتراثه، عند الالتزام به، الشطط والزلل والانحراف، والميل أثناء كتابة وتدوين الرواية التاريخية من الولاءات الكثيرة التي لا يخلو منها مؤرخ إلاّ من رحم ربك، والتزم بهذا المنهج الربّاني.

للتاريخ أهمية كبرى في حياة الفرد والأمة، حيث أن التاريخ، منهج الحياة، وتجارب الماضين، ومنه يستلهم العبر والدروس، وإليه يرجع لتفسير وتوضيح كثير من جوانب الحياة، وتفسير أسباب النصر والعز والسؤدد، وعوامل الهزيمة والتقهقر والإخفاق.

فمن لا تاريخ له، لا ماضي له، ومن لا ماضي له، لا حاضر، ولا مستقبل له.

وعلم التاريخ - كما يقول الجبرتي - [(١)]: "علم شريف فيه العظة والاعتبار وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]".

وجاء في أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين كحديثه عن بني إسرائيل وما غيروه من التوراة والإنجيل وغير ذلك من أخبار الأمم والشعوب مما يفضي بمتأمله إلى العجب.

قال الشافعي رضي الله عنه: من علم التاريخ زاد عقله.

ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتني بتدوينه سلفا عن سلف وخلفا من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وغدوه من شغل البطالين وأساطير الأولين ولعمري أنهم لمعذورون وبالأهم مشتغلون ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله وانخرمت قواعده في الحساب فلا تضبط

---

(١) ينظر الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل - بيروت ١/ ٩.

وقائعه في دفتر ولا كتاب وإشغال الوقت في غير فائدة ضياع وما مضى وفات ليس له استرجاع ".

لذا فإن من الواجب على المسلم، معرفة تاريخ أمته، فبالتاريخ عرف متى نزل الوحي ومتى بعث خاتم النبيين محمد ﷺ، ومتى فرضت الصلاة والزكاة، والصيام والحج، والناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، والمتأخر والمتقدم من أحاديث النبيّ ﷺ ...الخ. ولولا التاريخ لأختلط علينا الحلال والحرام في كثير من أمور ديننا واختلط علينا حتى أمور دنيانا.

ومن أجل ذلك يجب على كل حريص على عقيدته وأمته أن يعرف ما يصّح من تاريخ أمته، وما ألصق به من الدس والأباطيل، فالتاريخ الصحيح هو: تفتيش نصوص الماضي، للوصول والوقوف على ما يصحّ ويثبت منه، ونبذ وترك وإهمال ما ألحق به وزيد فيه[١].

عند قراءة متأنية لتاريخنا الإسلامي سنجد أن أجدادنا خلّفوا لنا ركاما من الحوادث، ولم يعن أحد من المصنفين؛ المتقدمين ولا المتأخرين بتحقيق ذلك، وإنما كانت هذه المواد تلخص عن الطبري، ويزداد عليها أحياناً من البلاذري، أو يبدأ بها حيث انتهى الطبري[٢]، وأصبح تاريخنا أمام واقعين مؤلمين:

١- في المصادر القديمة، وهذه من التجوز أن تسمى تاريخاً، فهي: نثار من الحوادث والوقائع، والحكايات، والأحاديث، والنتف والملح، والخرافات، والأساطير، والروايات المتضاربة، والأقوال المتعارضة، والدسائس، والأباطيل، والحقد الدفين، الذي يلمسه ويشتم روائحه من يقرئه لمن أوتي حظا من النقد والبصيرة ![٣].

٢- في المصادر الأوربية، وبخاصة في أعمال المستشرقين، وتلامذتهم المتأثرين بمناهجهم، والمرددين لشعاراتهم، المقلدين لهم كالببغاوات، فهو تاريخ مكتوب بنفس أجنبي، وأحياناً بخبث وحقد صليبي[٤].

---

(١) ينظر هورس: جوزف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، ط١، عويدات - بيروت ١٩٧٤م ص٩١.

(٢) ينظر: المرجع نفسه ص٤٥، جب:هـ، أ، ر جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد مع آخرين، ط١، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١م ص٧٢-٧٣، بول ماس: نقد النص، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية-القاهرة ص٣٠٠. (مطبوع مع النقد التاريخي).

(٣) قطب: سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط٣، دار الشروق - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص٤٢.

(٤) ينظر: المرجع نفسه ص٤٢.

٣- في كتب المتشيّعة التابعين للفرس عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا وولاء وبراء، وذمّة وضميرا، المخرّبين والملوثين للتاريخ والتراث الإسلامي، ولم نجد في الماضي، ولا نجد في الحاضر، ولا في المستقبل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من يماثلهم، أو يضاهيهم، أو يقاربهم، في الدسائس والكذب، والافتراء والبهتان على أمتنا الإسلامية، حيث قد فعلوا ويفعلون ذلك ديانة وتقصدا[١].

لم يبحث التاريخ الإسلامي، بحثاً علمياً صحيحاً ودقيقا، لأن توجه معظم المؤرخين، في القرون الأولى، كان منصبا على جمع شتات الموضوعات، وضم بعضها إلى بعض في كتاب واحد[٢].

(وإذا كان النقد التاريخي، يبدو ضعيفاً في دراستنا، فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصوراً، بسبب النظرة التجزيئية للقضايا، والسطحية في التعامل مع الروايات، وعدم وضوح التصور الإسلامي، لحركة التاريخ، ودور الفرد والجماعة... فضلاً على أن الكتب التاريخية القديمة، لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي، بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط)[٣].

لقد تعرض تاريخ أمتنا إلى مؤامرة لئيمة كبرى، من قبل أعدائه بعد القرن الثالث الهجري، شوهت الصورة الوضاءة، لسلفنا الصالح، وأدخلت فيه من الأباطيل والدسائس، جعلت الأمة تدفع ثمناً باهظا من وراء ذلك، وأصبحت تلك الروايات الباطلة بابا يدخل منه كل مفسد حسود، يفرق به أمر الأمة بعد أن كانت مجتمعة، ويتخذ منها- ما يريد- للنيل من عقيدة المسلمين وشريعتهم وحضارتهم لا بل أصبحت- تلك الروايات- عقيدة ودينا يحتكم إليها، أهل الأهواء والبدع والضلالة ويجعلونها من مسلمات التاريخ !!.

من أجل ذلك كله، أصبحت إعادة كتابة تاريخ الأمة دينا في رقاب رجالها، فكانت هذه المحاولة المتواضعة.

---

(١) ذكرنا هذا الموضوع وأشبعانه بحثا ونقاشا في رسالتنا الموسومة:

(٢) ماجد: عبدالمنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ص٩.

(٣) العمري: أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، ط٥، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ١/ ١٤.

سبب اختيار الموضوع:

١- لم يطرق هذا الموضوع- فيما نعلم- قديماً ولا حديثاً من قبل أحد من المسلمين بهذه الصورة، بشكل واف شاف، كامل شامل، فهو أول محاولة في تاريخ المسلمين، يجمع فيها باحثها مناهج المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، والمؤرخين، ويوضحها بشكل تفصيلي، ويضعها أمام المؤرخ المسلم، ويطبق ذلك- قدر المستطاع- على الروايات التاريخية مع الأمثلة والشواهد.

٢- لأن الجهل في المؤرخين أكثر من الجهل في غيرهم بهذه المناهج[١].

٣- اهتمام كثير من مؤرخينا ينصب على تناول الشبهات والرد عليها.

٤- (كان المتخصصون في القرون الأولى يعرفون الرواة وأحوالهم، والأسانيد، وشروط صحتها، فكان بوسعهم الحكم على الروايات وتمييزها، لكن هذه المعرفة بالرجال والأسانيد لم تعد من أسس الثقافة في القرون المتأخرة، بل يندر أن تجد من يهتم بذلك، من مثقفي هذا العصر، لذلك جاءت كتابات المعاصرين من الكتاب والمؤرخين خلواً من تمييز الروايات وفق قواعد مصطلح الحديث)[٢].

٥- إحياء مناهج المحدّثين، واستخدامها لكتابة التاريخ والبحوث التاريخية ولإعادة صياغة كتابة التاريخ الإسلامي، حيث أن أمتنا أمة خصت بمنهج الإسناد، دون غيرها من الأمم.

٦- خطورة القرون الثلاثة الأولى في حياة المسلمين، حيث الجيل القدوة، والرعيل الأول، الذين وصفهم سيد الخلق بخير القرون، وبداية تلويث وتخريب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي على أيدي أعداء المسلمين بعد نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، وهي القرون الفاصلة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشرّ، والصحيح والزائف.

٧- المصادر التاريخية القديمة في هذه القرون، تتشابه من ناحية التزامها بسوق الروايات، تتقدمها الأسانيد على طريقة المحدّثين في الغالب.

٨- التقرب إلى الله بتخليص، التاريخ من روايات طالما، أساءت إلى الأمة، عقيدة، وشريعة، وحضارة، وتاريخا، وجعلت كلمتها مفرقة مشتتة.

---

(١) ينظر السبكي: عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) قاعدة في المؤرخين، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص٣١. (مطبوع مع كتاب الرفع والتكميل).

(٢) العمري: المرجع السابق ١/ ١٢.

٩- إن التاريخ الإسلامي، يتميز بارتباطه، بالعقيدة والشريعة، والأخلاق والقيم ارتباطاً، وثيقاً، لا يمكن تفسير أحداثه، من قبل من لم يكن من أهله، ويحمل عقيدته ومبادئه ويتفهم مقاصده، مهما كان يبلغ من المنزلة العلمية، ويحاول أن يطبق المنهج العلمي، ومهما يكون محايدا ومتجردا، ويمتلك العقل البارد، أثناء تدوين هذا التاريخ !.

الصعوبات التي واجهتها:

- قلّة المصادر، لكونها أول محاولة في هذا الميدان، وكنت قد كتبت هذه الأطروحة ببغداد في وسط التسعينيات القرن الماضي، حين كانت مكتبات بغداد الكبرى خاوية على عروشها وخالية من أي مصدر جديد، وقد كان أعداء المسلمين، شدّوا على العراق حصارا ظالما خانقا من جميع النواحي، وقد شمل ذلك جميع المجالات العلمية والبحثية.
- صعوبة الموضوع، حيث تناثرت أقوال العلماء في هذا الموضوع، في مؤلفاتهم المختلفة ككتب مصطلح الحديث، وأصول الفقه، الفقه، التاريخ، علم الرجال، التفسير، الأدب، الرحلات، البلدانيات، كتب النقد التاريخي...الخ.
- من المشاكل التي تواجه الباحثين في هذا المجال أيضاً، عدم وجود الإسناد لبعض الروايات، أو تجد لها إسناداً، لكن رجاله لم يتكلم فيهم جرحاً أو تعديلاً، والبحث في هذا شاق وعسير جداً.

المقصود بمنهج المحدثين:

"أن للمحدثين مناهج وطرقاً في نقد الحديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف، والمطلوب تطبيق هذه المناهج في نقد الروايات التاريخية"[(١)] المتعلقة بالقرون الهجرية الثلاثة الأولى أولا، وعلى التاريخ الإسلامي بشكل عام.

وقد اعتمدت في إعداد هذه الأطروحة على كتب الأئمة المشهود لهم بالأمانة والصدق، من المصادر الأولية، اعتمادا أساسيا، واستأنست واسترشدت، بكتب المعاصرين من أهل العلم مما لا يتعلق بجوهر المادة.

وقد أخذنا- كما نذكر في المنهج- بالروايات الضعيفة، في الأحداث والموضوعات التي لا تتعلق بقضايا العقيدة، والشريعة، وسلف الأمة، إذا لم نجد الروايات الصحيحة والحسنة،

---

(١) العمري: المرجع نفسه ١/ ٣٨.

ونتعامل معها وفق معايير المنهج التاريخي، حيث أن الأمور المتفق عليها بين المؤرخين، يمكن أن تفيد وتسد بعض الثغرات في تاريخنا.

وهذا المنهج قد كتبناه لكتابة وإعادة كتابة تاريخ المسلمين، وفق معايير أئمة الحديث، والأصوليين، والفقهاء، وكبار المؤرخين. ولا يضرّنا أو يهمنّا من لا يؤمن بهذا المنهج، أو لا يعده معيارا في ذلك.

فمن المؤكّد أنّ هناك ناس لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يؤمنون بالمنهج النقدي والشرعي عند المسلمين، كأهل الكتاب والمشركين والوثنيين، والزنادقة المتسترين بالتشيّع الفارسي المجوسي، **ومثل هؤلاء لا يشكلون حجرة عثرة في يوم من الأيام في طريق نشر ديننا أو الدعوة إليه أو عند كتابة تاريخنا وتراثه وتنقيحه.**

وهل التاريخ وكتابته أو إعادة كتابته وفق هذا المنهج إلاّ جزء من هذا الدين ومن هذا المشروع الكبير؟

كما أنّ هذا الموضوع شأن من شؤون المسلمين، ويخضع لمبادئ عقيدتهم، وشريعتهم، ومناهجهم، وضوابط النقد لديهم، وليس لعقيدة، ومبادئ، ومناهج غير المسلمين، أو فرقة ضالّة تابعة لأهواء أهل الملل والنحل التي لا تمتّ الإسلام بصلة .

ولأن المسلمين هم أول من أسس أصول النقد بجميع طرقها - سندا ومتنا - والفضل ما شهد به الأعداء.

وقد استغرقت رسالتنا أكثر الأغراض السبعة التي من أجلها تؤلف الكتب وهي: (إما يؤلف في شيء؛ لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء يرتبه، أو شيء خطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه)[١].

وما لا يدرك كلّه لا يترك كله[٢]. حيث أن الأصالة الكاملة من كل الوجوه لا وجود لها في الواقع.

---

(١) التلمساني: أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٦٨م ٣/ ١٩٠، مجلة الأمة القطرية العدد (٢٧)، السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٠٣هـ/ كانون الثاني ١٩٨٣م ص١.

(٢) العظيم آبادي: محمد شمس الدين: عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ ١٠/ ٢٣٣، القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م ٣/ ٢٦٧.

وأملنا بالعلماء والباحثين المسلمين كبير في نقد هذه التجربة وتقويمها وتقييمها حيث أنها تأصيل لأصول وقواعد، من المنهج الإسلامي في النقد، تم تطبيقها على التاريخ الإسلامي.

ونأمل من كل من يقرأ هذه الرسالة، أن يرشدنا إلى مواطن الزلل والخطأ، حيث أن الكمال المطلق لله وحده، والعصمة للأنبياء، أما بقية البشر جميعهم، فهم بنو آدم يخطئون ويصيبون.

يقول المزني- صاحب الإمام الشافعي- [١]: (لو عورض كتاب سبعين مرّة لوجد فيه خطأ أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه).

وقال العماد الكاتب[٢]: (إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا، لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

خطة البحث:

جعلت الرسالة في مقدمة، وسبعة فصول، وخاتمة، وقدمتُ لكثير من الفصول والمباحث، بتمهيد، وبيان عنوان الموضوع لغة واصطلاحاً.

فتحدّثت في الفصل الأول عن:

- أثر علم الحديث في المنهج التاريخي، ويشمل:
- التدوين التاريخي عند المسلمين.
- نقد السند.
- نقد المتن.

الفصل الثاني: أحوال الراوي والرواية، ويشمل:

- الحفظ والكتابة عند المسلمين.
- أحوال الرواة.
- أحوال الرواية.

---

(١) الخطيب: أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م) موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة -بيروت ١٤٠٧هـ ١ / ١٤.

(٢) القنوجي: المصدر السابق ١ / ٧١.

obeikandl.com

الفصل الثالث: الوضع، والوضع التاريخي، ويشمل:

- الوضع وأثره السيئ على العقيدة والحضارة.
- أسباب الوضع.
- قواعد معرفة الموضوع.

الفصل الرابع: الجرح والتعديل ويشمل:

- الجرح والتعديل، تطوره، أهميته، ضوابطه.
- ألفاظ الجرح والتعديل.
- معرفة المتشددين والمتساهلين.
- مصطلحات خاصة وبيان المراد منها.

الفصل الخامس: العلل ويشمل:

- العلة، ميدانها، غايتها، أشهر علمائها.
- معرفة العلة، أسبابها، الكشف عنها.
- ضوابط لمعرفة العلل بأحوال معينة.
- قواعد وفوائد في العلل.

الفصل السادس: التعارض والترجيح، ويشمل:

- مفاهيم وقواعد في التعارض والترجيح.
- الترجيح وأنواعه.
- تطبيقات قواعد التعارض والترجيح.
- قواعد الأئمة الفقهاء مع التطبيقات.

الفصل السابع: تطبيقات مناهج المحدثين على الروايات التاريخية، ويشمل:

- تطبيقات على عصر الصحابة.
- تطبيقات على عصر التابعين.
- تطبيقات على عصر أتباع التابعين وأتباعهم.

والله أسأل أن ينفعني بها يوم القيامة، وينفع بها المسلمين، لإعادة النظر في كتابة وتدوين تاريخ أمتهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

obeikandl.com